

القائد (٣)

«جاءه يوماً الى مرسيلىا الصحافي فوزي مبارك وكنت حاضراً، قال له: «جنرال، اليوم الهراوي وصل ع باريس وهلق عم يخطب عن لبنان ويحكي عن الديمقراطية والحرية»... أجابه علي الفور: «متل اللي عم يحضر عرس مرتو يا فوزي». استوقفه الجواب واستفسر فأجاب الجنرال: «متل منك شاي، عنا باعوا كل شي: الوطن، الكرامه، الديمقراطية والحرية.. وعم يتباهوا اليوم ويحكوا عن شي ما بقا موجود الا ع لساناتن. متل المتل اللي بيقول: واحد بيبيع مرتو وعرضو وشرفو وبعدين بيتطقم وبيروح ع عرس مرتو وبيصير شاي حالو».

في صيف ١٩٨٥ كان يقضي، كالعاده، نهار عيد مار الياس عند صديقه جوزف غصن (ابو الياس). التفت صوب العتبة وبدأ يقرأ مقطوعة لجبران خليل جبران معلقة فوق الباب: ويل لأمة تحسب المستبد عادلاً.. ثم قال: «الهيئة في ويل مش مارق ع جبران»، وأخذ قلماً وكتب تحتها: «ويل لأمة تضحّي بشبابها من اجل شبيها».

كان متعلقاً بالأمثال اللبنانية كثيراً لأنها، برأيه، تختصر فلسفة معاناة شعبنا عبر الأجيال وعناد هذا الشعب وصموده. لكنه لا يخفي امتعاضه واشمئزازه من بعضها فيقول: «يا خيي في كم متل ما بعرف منين ملقوتين متل: «الكذب ملح الرجال، وعيب ع اللي بيبصدق». أو متل «الأيدي اللي ما فيك عليها، بوسها ودعي عليها بالكسر».. لا بدّي بوسها وبدّي ادعي عليها بالكسر بضل اتحضرت يصير فيي إكسرها...».

في بداية حرب التحرير سأل أحد الصحافيين: «كيف نقاوم سوريا وهي أقوى منا؟» فأجابه: «دايمن حروب التحرير بيقوم فيها الضعيف ضد القوي وع طول الضعيف بينتصر بالنهاية لأنه صاحب الحق. نحنا علينا نصمد وندافع عن وجودنا الحر ونتشبث بحقنا، ولا بد ما تتغير الظروف ويقشع العالم الحقيقة وينجدنا ت نحرر وطننا». ثم تابع قائلاً: «رح خبركن خبرية عصفور سن المنجل، لأن هالقصة بتعبّر عن وضعنا. مرة كنت ع الحدود بمنطقة «تم لوبيا»، وكنت هونيك نهار عم اتصيد عصفير. شفت عصفور سن المنجل، بيعلا وبيشك ع جذع زيتونه. قربت، شفت حية عم بتقرب ع العش ت تاكل الفروخ وسن المنجل عم ينقرا براسها ويمنعها، ساعتنا قوصت الحية وخلصوا العصفير».

لا يخاف من الموت ويعتبره أمراً طبيعياً وبيد الله، وشعاره الذي يردده دائماً: «شعور رؤوسكم محصاة وشعرة منها لا تسقط بدون ارادة أبيكم». أثناء زيارتي له في مرسيلىا قال لي: «في انتقالي من القصر الى السفارة الفرنسية صباح ١٣ تشرين الاول ١٩٩٠، تعرضت ومن معي للخطر من جراء القذائف العديدة التي كانت تتساقط بغزارة على مقربة منا. تصورت أمامي تلك الجموع التي كانت تصلي وتتضرع في بعبداء ورحت أتذكرها. ولما وصلت الى السفارة كنت متأكد ووثاقاً بأن تلك الصلوات هي التي أنقذتنا».